العمل الخيري

ودوره في الإصلاح الأسري والمجتمعي

د. صباح خضر أحمد عبد الحىٔ

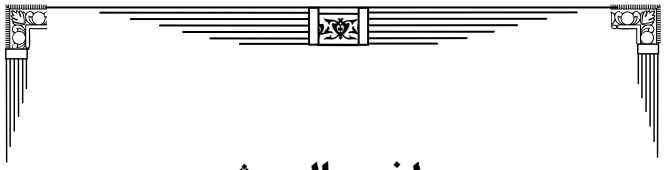

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلىٰ تبيين مفهوم العمل الخيري والفهم المقاصدي له، وكيف أنه من مقاصد الشريعة الإسلامية، وهو مبدأ إسلامي راسخ برسوخ الإسلام كما وضحت الآيات القرآنية اقترانه بالعبادة التي يتقرب بها المسلم إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ. وعمل الخير ينمىٰ الإحساس بالمسؤولية لدىٰ المشاركين وإشعارهم بقدرتهم علىٰ العطاء، وهو يشمل الجوانب المادية والمعنوية التي تحقق مقاصد الشارع من وضع الشريعة، ويسلط البحث الضوء علىٰ الدور الكبير الذي يلعبه عمل الخير في إصلاح الفرد والأسرة ويكون سببا لتحقيق الأمن والفلاح وتنمية وتطوير المجتمعات، ويكون ذلك من خلال ما تقدمه الجمعيات والمنظمات والمؤسسات الطوعية من برامج ثقافية ودعوية وخدمية لإصلاح مشاكل الأسرة والمجتمع ومعالجتها. وقد اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي ثم الاستقرائي، ثم توصل الباحث لكثير من النتائج منها: أن عمل الخير عملٌ خالٍ من الربح وفاعله يؤثر غيره علىٰ نفسه لنيل رضا الله (سبحانه وتعالىٰ)، ومن أهم توصيات الباحث أن يسعىٰ الإنسان جاهدًا ليقدم عملًا خيريًّا يتعدىٰ نفعه إلىٰ غيره ويشارك بما يتاح له من إمكانات في أعمال البر أي كان نوعها اجتماعية، دعوية، إعلامية، صحية، حتىٰ تتضافر الجهود وصولا إلىٰ المجتمع الإسلامي الأنموذج، مجتمع النبي ﷺ الذي يقوم علىٰ التآخي والتآلف والترابط وبه يستحق وصف أمة الإسلام بأنها خير الأمم.

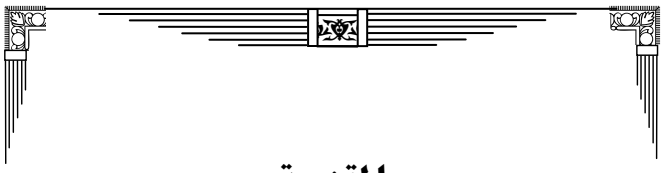

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، ثم أما بعد:

العمل الخيري هو النفع المادي والمعنوي الذي يقدمه الإنسان لغيره، وله قيمة إنسانية كبرىٰ تتمثل في العطاء بكل أنواعه، وتأتي أهميته من ارتباطه بالعبادة، ورضا الله (سبحانه وتعالىٰ)، وهو مبدأ إسلامي ثابت راسخ برسوخ الإسلام، ويستمد مشروعيته من الكتاب والسنة، أيضا تبرز أهمية عمل الخير إذا انضبط بقواعد الشرع جلب النفع ودفع الضرر وهذا مقصود الشارع من عمل الخير وذلك من أجل مصالح فئات معينة نص عليها الشارع لتحقيق كفايتهم وسد احتياجاتهم، ولتحقيق التوازن بين شرائح المجتمع وصولا إلىٰ المجتمع المتآلف المتراحم الذي تسمو فيه النفوس وتزكو بالبذل والعطاء والإنفاق في سبيل رضا الله (سبحانه وتعالىٰ) وتحقيق مراده في الاستخلاف لإقامة مصالح العباد في الدنيا والآخرة.

ومن أهداف هذا البحث:

١- إبراز العمل الخيري وقيمته في الإسلام وتأصيله.

٢- تعزيز قيمة العمل الخيري بجوانبه المادية والمعنوية.

٣- تنمية الإحساس بالمسؤولية لدىٰ المشاركين وإشعارهم بقدرتهم علىٰ العطاء للتسابق للقرب من الله (سبحانه وتعالىٰ).

٤- تحقيق الترابط والتآلف بين أفراد المجتمع ليصبح المجتمع المسلم متراحما.

٥- تحقيق التعاون المشترك بين القطاعات الأهلية غير الربحية والحكومية.

٦- إثراء المكتبة الإسلامية بمثل هذا النوع من البحوث لتطوير نظرة أفراد المجتمع لرفع قيمة العمل الخيري خاصة عند النظر إلىٰ الفوائد الملموسة التي يجنيها المجتمع من المنظمات الطوعية والخيرية وما تقوم به.

۞ أسباب اختيار الموضوع:

من الأسباب التي جعلت الباحث يختار محور العمل الخيري ودوره في الإصلاح الأسري والاجتماعي؛ لأنه أحد محاور مؤتمر العمل الخيري ومقاصده وقواعده وتطبيقاته، وذلك لاهتمام الباحث بمثل هذا النوع من البحوث التي لها علاقة مباشرة في إصلاح الأسرة والمجتمع، التي تأثرت أخيرًا بما يدور حولها من تغييرات سالبة في كل جوانب الحياة، فلا بد من المساهمة في كيفية الإصلاح ما استطعنا إلىٰ ذلك سبيلا كل بحسب قدرته ومجاله.

۞ الدراسات السابقة:

وبحسب اطلاعي علىٰ بعض كتب المقاصد (كالموافقات) للشاطبىٰ، و(قواعد الأحكام في مصالح الأنام) للعز بن عبد السلام، وكتاب (المقاصد) لابن عاشور، و(الفكر المقاصدي قواعده وفوائده) للريسوني، فكلها تحدثت عن المقاصد وتعريفاتها وأهميتها. كما تناول د. غازىٰ عناية (الاستخدام الوظيفيي للزكاة) وللريسونىٰ أيضا كتاب (قواعد الوسائل وأثرها في تنمية العمل الخيري)، وهنالك كتابات تناولت إصلاح المجتمع في القرآن مثل د. أمين نعمان الصلاحىٰ

(كتاب الأمة)، لكن بالنسبة لربط المقاصد بعمل الخير، فإن أهم كتاب هو (أصول العمل الخيري في الإسلام في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية،) وهو كتاب مهم لمثل هذا النوع من البحوث، وبما أن موضوع الباحث هو (دور عمل الخير في الإصلاح الأسري والمجتمعي)؛ فالباحث استفاد من الكتب أعلاه للربط بين المقاصد وعمل الخير وما يقوم به من إصلاح للفرد والأسرة والمجتمع وتوفير حاجاتهم الضرورية، من خلال عرضه مجالات الإصلاح التي تقوم بها المؤسسات والمنظمات الطوعية الخيرية غير الربحية وما تقدمه من مساعدات؛ إذ تعرض الباحث لنماذج من عمل الخير في السودان، عكست تضافر الجهد الشعبي المجتمعي (الإغاثات – إصحاح البيئة وحملات تطعيم الأطفال...إلخ)، وهذا وجه الاختلاف بينه وما تعرضت له الكتب سالفة الذكر.

في هذا البحث يحاول الباحث أن يجيب عن أسئلة البحث الآتية:

١-ما مقاصد العمل الخيري وقيمته في الإسلام؟

٢-ما التأصيل الشرعي للعمل الخيري؟

٣-ما أهداف العمل الخير وتطبيقاته بصفته مقصدًا عامًّا للشريعة؟

٤-ما دور العمل الخيري في الإصلاح الأسري والمجتمعي وإسهاماته؟

۞ خطة البحث تتكون من:

مقدمة تحدث فيها الباحث عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهدافه والدراسات السابقة، وأسئلة البحث والمنهج الذي اتبعه الباحث في هذه الدراسة، وأربعة مباحث بمطالبها وهي:

المبحث الأول: التعريفات بمصطلحات المقاصد – العمل الخيري – الإصلاح المجتمعي. وينقسم إلىٰ ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المقاصد في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: تعريف العمل الخيري.

المطلب الثالث: تعريف الإصلاح المجتمعي.

المبحث الثاني: التأصيل الشرعي لعمل الخير من الكتاب والسنة.

وينقسم إلىٰ مطلبين:

المطلب الأول: أدلة عمل الخير في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أدلة عمل الخير في السنة النبوية.

المبحث الثالث: أهداف عمل الخير وتطبيقاته بوصفه مقصدًا عامًّا للشريعة.

وينقسم إلىٰ ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أهداف العمل الخيري.

المطلب الثاني: تطبيقات العمل الخيري.

المطلب الثالث: العمل الخيري مقصدًا عامًّا للشريعة

المبحث الرابع: دور عمل الخير في الإصلاح الأسري والمجتمعي.

وينقسم إلىٰ أربعة مطالب:

المطلب الأول: إصلاح دين الفرد والأسرة.

المطلب الثاني: حفظ النفس والعقل للفرد والأسرة.

المطلب الثالث: حفظ النسل والمال.

المطلب الرابع: دور عمل الخير في إصلاح المجتمع وتطويره وتنميته.

وخاتمة ذكر فيها الباحث ما توصل إليه من نتائج وأهم التوصيات وفهرس للمصادر والمراجع.

المبحث الأول

تعريف مصطلحات
المقاصد – العمل الخيري – الإصلاح المجتمعي

ينقسم إلىٰ ثلاثة مطالب

- **المطلب الأول: تعريف المقاصد في اللغة والاصطلاح.**
- **المطلب الثاني: تعريف العمل الخيري.**
- **المطلب الثالث: تعريف الإصلاح المجتمعي.**

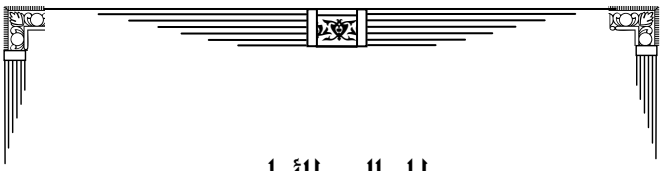

المطلب الأول

المقاصد في اللغة والاصطلاح

جمع مقصد مشتقة من الفعل قصد يقصد قصدًا، والمقصد في اللغة يطلق ويراد به معانٍ كثيرة منها: استقامة الطريق وشاهده قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل:٩] ؛ أي علىٰ الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة، ومن المعاني أيضًا العدل، ويقصد الحكم بالعدل والتوسط بين الإفراط والتفريط، والقصد أيضًا الاعتماد والتوجه، قصد يقصده قصدًا أي سار اتجاهه ونحا نحوه[1]. وهذا المعنىٰ متداول كثيرا في الكلام وهو المستعمل في كلام الفقهاء والأصوليين، أي ما استهدفه المكلف بباطنه وسار تجاهه ونحا نحوه مثّل إرادته الباطنة. ومنها أيضًا التوجه والأم، فيقال قصد البيت إذا توجه إليه، وأم إلىٰ البيت أي قصد إلىٰ البيت.

أما المقاصد في الاصطلاح: لم يضع علماء الأصول قديما تعريفًا محددًا للمقاصد، مع أنهم تناولوها ضمن كتبهم إلاّ أنه لم ينقل عنهم تعريف معين، وقد دارت تعريفاتهم حول معان متقاربة، وظهر من خلال استعمالهم هذا اللفظ في

(١): ابن منظور محمد بن مكرم الافريقي المصري، لسان العرب ٣/ ٩٦، بيروت، دار صادر، ١٩٩٧م، وأنظر القامس المحيط ،الفيروزآبادي، ص ٣٩٦، مجد الدين محمد بن يعقوب ، دار الجيل، بيروت ، لبنان ، (بدون).

الغالب أن المراد هو عين المعنىٰ اللغوي ومن ذلك قاعدة"الأمور بمقاصدها" حيث يراد بالمقاصد هنا ما يريده ويستهدفه المكلف ويضمره في نيته ويسير نحوه في عمله[١].

ومن التعريفات مثلا للشيخ ابن عاشور"أنها المعاني والحكم الملحوظة في جميع أحوال التشريع أو معظمها"[٢]. وعرفها علاّل الفاسي: "المراد بمقاصد الشريعة الغاية منها والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم"[٣]. وعرفها يوسف العالم بأنها: "الغاية التي يرمي إليها التشريع، والأسرار التي وضعها الشارع الحكيم عند كل حكم من الأحكام"[٤]

ونلاحظ أن هذه التعريفات تُعرف المقاصد من حيث العموم إلاّ أن هنالك مقصدًا كليًّا وحكمة عامة جامعة جاءت جميع الأحكام الشرعية لتحقيقها وهي"جلب المصالح وتكميلها ودرء المفاسد وتقليلها". والمقصود بجلب المصالح: سوقها للمكلف وتحصيلها له، ودرء المفاسد: أي حبسها ومنعها عن المكلف ورفع الضرر عنه، وتقليل المفاسد تخفيفها إذا تعذر درءها بالكلية، وقال الإمام الشاطبي"أن الشارع قصد بالتشريع إقامة المصالح الآخروية

(١) عبد الرحمن الكيلاني: قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبىٰ ص ٤٥،ط١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار الفكر،ط١، دمشق، ٢٠٠٠م.

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور: مقاصد الشريعة، ص ٥١، مطبعة الاستقامة، الشركة الوطنية للتوزيع، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.(بدون)

(٣) علال الفاسي: مقاصد الشريعة ومكارمها، ص ٥، نشر مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء.(بدون)

(٤) يوسف حامد العالم: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ص ٦، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الامريكية، ١٩٩١م ١٤٢١هـ.

والدنيوية"[1].

ومصالح الناس في دنياهم هي كل ما فيه نفعهم وفائدتهم وصلاحهم وسعادتهم وراحتهم، وكل ما يساعدهم علىٰ تجنب الأذىٰ والضرر ودفع الفساد إن عاجلا أو أجلا.

وخلاصة القول مما سبق ذكره أن المقاصد تنقسم إلىٰ قسمين: مقاصد المكلف، وهذه التي وردت في بداية التعريفات، ومقاصد الشارع، وقد اختار الفقهاء تعريفا لمقاصد الشريعة، تعريف ابن عاشور وهو"المعاني والحِكَم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغايتها العامة، التي لا يخلو التشريع من ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضاً معان من الحِكمْ ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها"[2].

من التعريفات السابقة الذكر يرىٰ الباحث أن التعريف الذي يناسب هذا البحث"المعاني والحِكم ونحوها التي راعاها الشارع في التشريع عموما وخصوصا من أجل تحقيق مصلحة العباد لأنه يشمل جميع التشريعات العامة والخاصة التي تتحقق بها مصالح العباد.

(١) أبو اسحق الشاطبئ:الموافقات ، ٢/ ٣٧، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٥م، وطبعة دار الفكر بتحقيق مخلوف.

(٢) ابن عاشور: مقاصد الشريعة،(مرجع سابق)، ص ١٨٣.

المطلب الثاني

تعريف العمل الخيري

العمل في اللغة:

المهنة والفعل[(١)]، أما الخير فهو ضد الشر، وجمعه خيور وقوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون:٦١] جمع خَيِّرة وهي الفاضلة من كل شيء[(٢)].

وفي الاصطلاح:

عرف العمل الخيري بأنه "النفع المادي والمعنوي، الذي يقدمه الإنسان لغيره، من دون أن يأخذ عليه مقابلا ماديا، ولكن ليحقق هدفًا خاصا له أكبر من المقابل المادي، قد يكون عند بعض الناس الحصول علىٰ الثناء، أو الشهرة، أو نحو ذلك من أغراض الدنيا. والمؤمن يفعل ذلك لأغراض تتعلق بالآخرة، رجاء الثواب عند الله تعالىٰ والدخول في جنات النعيم فضلا عما يناله في الدنيا من بركة وحياة طيبة، وسكينة نفسية، وسعادة روحية، لا تقدر بثمن عند أهلها"[(٣)].

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة ع م ل، ١١/ ٤٧٥.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة خ ي ر، ٤/ ٢٦٤.

(٣) أصول العمل الخيري في الإسلام في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية، ص ٢١، دار الشروق، =

وعرفه د. الريسوني بأنه"أعمال البر وصنائع المعروف التي يجود بها المجتمع المدني، بدءًا من الفرد، ومرورا بالجماعة، وانتهاءً إلىٰ المؤسسة. ولا يقتصر هذا العمل علىٰ جلب الموارد وإدارة المال وصرفه في الوجوه المشروعة، وإنما يتعدىٰ ذلك إلىٰ التخطيط لسبل الإنماء والتطوير، بما يتاح من برامج ثقافية ودعوية وإعلامية"[1].

= _____

ط٢، ٢٠٠٨م.

(١) د. قطب الريسوني: قواعد الوسائل وأثرها في تنمية العمل الخيري، ص٧، بحث مقدم في مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث، دبي، ٢٠٠٨م

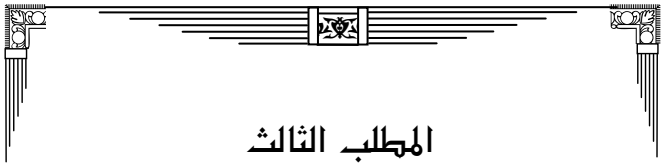

المطلب الثالث

تعريف الإصلاح المجتمعي

الاصلاح في اللغة:

من صلح: الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل علىٰ خلاف الفساد، صَلَح الشيء يصلُح صَلاحاً[1].

ويقول ابن منظور: "الصلاح ضد الفساد. والإصلاح نقيض الإفساد، والاستصلاح نقيض الاستفساد، وأصلح الشيء بعد فساده، أقامه"[2].

أما في الاصطلاح:

فقد عرفه بعضهم بقوله: "الإصلاح هو إرجاع الشيء إلىٰ حاله بإزاء ما طرأ عليه من فساد[3]. وعرفه آخرون بأنه "إرادة الخير وتقويم العوج"[4]

(١) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، أبو الحسن أحمد، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ٣/ ٣٠٣،بيروت، دار الجيل، بدون تاريخ.

(٢) لسان العرب: ابن منظور، مادة صلح، ٤/ ٦٠ – ٦١، (مرجع سابق).

(٣) الشيخ عبد الحميد بن باديس في تفسيره لقوله تعالىٰ: (إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا)سورة الاسراء، أية ٢٥.

(٤) سلسلة المنهاج، الشيخ هاشم محمد،٢/ ٦٦، مكتبة دار البيان، الكويت،ط١٩٨٩،٢م.

أما المجتمع فهو:

"عبارة عن مجموعة من الأفراد يعيشون معا في حياة منظمة بينهم مجموعة من الصلات والمبادئ والقيم والأهداف المشتركة"(١).

مما سبق يكون إصلاح المجتمع يعني"تقويم اعوجاجه أيّ كان". وبهذا المعنىٰ يتسع مفهوم إصلاح المجتمع ليشمل جوانب الحياة كلها، الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية. ويرىٰ إحسان محمد الحسن" أنه من المهم لإصلاح المجتمع أن تكون هنالك خطة مرسومة، فالإصلاح لا يحدث بصورة عفوية أو عشوائية، وإنما يحدث بطريقة مخططة تأخذ بعين الاعتبار الوسائل الإجرائية للإصلاح"(٢).

والقرآن الكريم كله يدعو إلىٰ إصلاح الحياة الإنسانية بدءًا بإصلاح المعتقدات والأفكار ومرورًا بكل الأنماط السلوكية، وجميع جوانب الحياة الاجتماعية، والقرآن يفرق بين الإيمان والإصلاح كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام:٤٨]. ويقرن بين التقوىٰ والإصلاح كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف:٣٥] وهذا الربط بين الإيمان والتقوىٰ من جهة والإصلاح، من جهة أخرىٰ لا يخفىٰ أن المقصود من العلاقة التلازمية بين الإيمان والتقوىٰ

(١) موسوعة علم الاجتماع: إحسان محمد الحسن، ص ٥٥٠، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

(٢) أنظر موسوعة علم الاجتماع: إحسان محمد الحسن: مرجع سابق، ص ٦٢.

والإصلاح.

كذلك دعوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جاءت لإصلاح واقع مجتمعاتهم وتقويم اعوجاج أقوالهم، والقرآن مليء بالآيات التي تشير إلىٰ ذلك.

والقرآن يدل على أهمية ممارسة الإصلاح حيث يذكر آثاره وثماره منها:

١-أنه سبب لدفع الإهلاك عن المجتمعات قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود:١١٧].

٢-أنه سبب لتحقيق الأمن في المجتمعات قال تعالىٰ: ﴿وَمَانُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام:٤٨].

٣-أنه سبب لاستجلاب مغفرة الله ورحمته قال تعالىٰ: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١٢٩]، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

٤-إرادة الإصلاح سبب لأن يحيط الله العبد بتوفيقه قال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء:٣٥].

٥-الإصلاح سبب لاستحقاق الوصف بالخيرية قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [آل عمران:١١٠].

٦-الإصلاح سبب للفلاح قال تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤].

وحين نتأمل في صفات أهل الفلاح في هذه الآية نجدها صفات المصلحين وهي الدعوة إلىٰ الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فالإصلاح هو طريق الفلاح في الدنيا والآخرة[١]

(١) من وسائل القرآن في اصلاح المجتمع: أمين نعمان الصلاحي، ص ٣٥ – ٣٩، سلسلة كتاب الأمة، سلسلة دورية تصدر عن مركز البحوث والدراسات، قطر، العدد ١٢٧، السنة ٢٨، ط١٤٢٩،١هـ٢٠٠٨م.

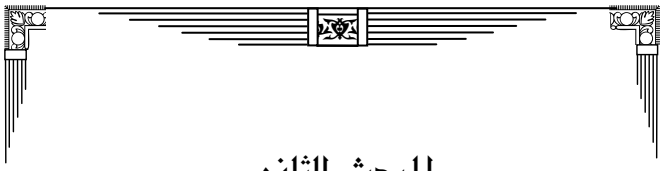

المبحث الثاني

التأصيل الشرعي
لعمل الخير من الكتاب والسنة

يعد عمل الخير في الإسلام من أهم الأعمال شأنه كشأن باقي الأعمال التي يقوم بها المسلم، وتنطلق هذه الأهمية من القيمة المضافة لهذا العمل الخيري، والاستفادة المترتبة عليه، لأنه عمل يتقرب به المسلم إلىٰ الله وهو جزء من العبادة، وهنالك الآيات الكثيرة والأحاديث التي تحث وتدعو المسلم إلىٰ عمل الخير وبذل الوسع فيه.

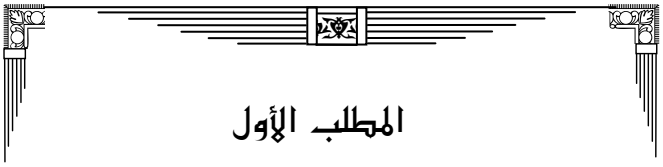

المطلب الأول

أدلة عمل الخير في القرآن الكريم

المتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن عمل الخير ورد في القرآن الكريم بدلالات مختلفة، وسياقات عديدة، وذلك بدلالة كثرة الأمر به والحض عليه ومدح فاعليه والتحذير من مناوئه في كثير من آيات القرآن الكريم، وقد ورد لفظ الخير ١٢٨ مرة في القرآن، وورد لفظ"أخيار" و"خيرات""وخيرة" ٨ مرات في سياقات متنوعة تربط"الخير" بجوانب أساسية من الحياة المدنية التي يعيشها الناس، كما ورد في بعض الحالات ضمن سياقات (أقل عدداً) تربط بالحياة الآخرة، ومن الآيات القرآنية التي تحض علىٰ فعل الخير، ومد يد العون إلىٰ الآخرين، ومساعدة المحتاجين، وجاءت مقرونة بأركان الإيمان وفرائض الإسلام، قوله تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧]،

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج:٧٧]،

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١١٥] وقوله تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤]،

ومن الآيات التي تدعو للتعاون علىٰ عمل الخير قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة:٢]،

كما جاء القرآن الكريم بعد توحيد الله تعالىٰ، والوصية بالوالدين وذي القربىٰ، والوصية بالضعفاء وأهل الحاجة والعوز، فقال تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء:٣٦]

ومن الآيات التي تحث علىٰ المسارعة في عمل الخير قوله تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة:٤٨]..

ومن الآيات التي تثني علىٰ الذين يسارعون بعمل الخيرات قوله تعالىٰ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران:١١٤]،

وفي وصف أهل الخشية من ربهم قوله تعالىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون:٦١]،

أما عن السياقات التي ورد فيها ذكر الخير، فمنها ما ورد في القرآن عند الحديث عن العلم، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف:١١]،

ومنها ما ورد عند الحديث عن العمل، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧]،

وورد في سياق الحديث عن الكفاءة والمقدرة، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦]،

وفي سياق الحديث عن العدالة جاء قوله تعالىٰ: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء:٣٥]،

وللحض علىٰ المنافسة والسبق في الأعمال المفيدة قوله تعالىٰ: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة:١٤٨]، وقوله: ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر:٣٢]،

وفي سياق الحديث عن الإنفاق قال تعالىٰ: ﴿مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [البقرة:٢١٥]،

وثمة مواضع أخرىٰ كثيرة، علمنا من اطراد ورود الأمر بعمل الخير فيها، والحض عليه، والثناء علىٰ من يقومون به الوعد بالأجر العظيم قال تعالىٰ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾،

والوعيد الشديد للذين لم يقوموا من نوم.ك الخير بشئ، قال تعالىٰ: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ

ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ [الماعون:١-١]،

وقال تعالىٰ: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [المدثر:٤٢-٤٢]،

وأن العمل الخيري مقصد عام وثابت من مقاصد الشريعة الغراء، كما ورد في سياق القرآن الكريم علىٰ سبيل الوجوب والإلزام، لا علىٰ سبيل التفضل والتطوع، فقال تعالىٰ ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة:٦٠]،

والقرآن يخبرنا أن كل ما ننفقه في وجوه الخير والبر والإحسان ابتغاء وجه الله، فإن الله يعوض عنه، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ:٣٩]،

كما نجد القرآن الكريم يطرق علىٰ قضية العمل الخيري بقوة، ويتناولها من جوانب كثيرة، ونواحٍ عديدة، ومقصد كل ذلك هو حث المجتمع المسلم علىٰ الانحياز إلىٰ عمل الخير، ومساعدة المحتاجين، ومد يد العون والمواساة باعتبارها من أفضل الأعمال الصالحة، وأعظم القربات التي لا تبرأ منها ذمة المجتمع، ولا ينجو من عذاب الله إلا بأدائها.

المطلب الثاني

أدلة عمل الخير في السنة النبوية

* عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمىٰ»(١)

* عن عبد الله بن عمر ر ضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن يفرج عن مسلم كربة في الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن يسر علىٰ معسر يسر الله عليه الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».(٢)

وقال الحافظ بن حجر (لا يسلمه، أي لا يتركه مع من يؤذيه،ولا فيما يؤذيه، بل ينصره ويدفع عنه.وقد يكون ذلك واجباً وقد يكون مندوبا بحسب اختلاف

(١) صحيح مسلم، الإمام مسلم أبي الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم 6586، ص ١١٣١. دار السلام للنشر والتوزيع، ط١٤١٩،١هـ، ١٩٩٨م.

(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح البخاري، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه،٦/ ٢٢.وصحيح مسلم ،كتاب البر والصلة والأداب، باب تحريم المظالم،٨/ ١٨

الأحوال[1] ويمكن أن نضيف لا يسلمه أي ينقذه أي لا يسلمه للهلاك، وكثير من أعمال الخير تدخل في هذا الباب مثل إنقاذ المسلم من مرض مهلك أو فقر مذل أو جهل مضل أو فراغ مفسد.

* و قال ﷺ «الساعي علىٰ الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار»[2]

* وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «من مشىٰ في حاجة أخيه كان خيراً له من اعتكاف عشر سنوات»[3]، وإعانة ذوي الاحتياجات الخاصة، من أفضل الأعمال وكف الشر عن الناس درجة عليا من درجات العمل التطوعي.

* عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي العمال أفضل، قال: «الإيمان بالله والجهاد في سبيله قلت: أي الرقاب أفضل قال: أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمنًا، قال: قلت: فإن لم أفعل؟ قال: تعين ضائعًا أو تصنع لأخرق، قال: قلت يا رسول الله إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك علىٰ نفسك»[4]، والضائع هنا: هم ذوو الضيع من فقر أو عيال كثير، والأخرق هو من لا صنعة له.

(١) ابن حجر، فتح الباري ٦/ ٢٢

(٢) صحيح البخاري، البخاري ،باب فضل النفقة علىٰ الأهل ،حديث رقم (١٩٦٩)،٥/ ٢٠٤٧.

(٣) المعجم الوسيط للطبراني، حديث رقم (٧٣٢٦)،٧/ ٢٢٠.

(٤) البخاري ،صحيح البخاري ،كتاب العتق، باب أي الرقاب أفضل،٦/ ٧٤،صحيح مسلم ،كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله أفضل الأعمال ،١/ ٦٢

* عن أبي مسعود الأنصاري، قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال إني أبدع بي فأحملني فقال: رسول الله ﷺ «فما عندي» فقال رجل يا رسول الله أنا أدله علىٰ من يحمله،قال رسول الله ﷺ «من دل علىٰ خير فله مثل أجر فاعله»(١).

* وقال رسول الله ﷺ «سبق درهم مائة ألف درهم قالوا: وكيف قال: كان لرجل درهمان أجودهما وانطلق رجل إلىٰ عرض ماله فأخذ منه مائة الف درهم فتصدق بها»(٢).

فكل الأحاديث تشير إلىٰ التعاون الذي يجب أن يكون في المجتمع المسلم لكن"مما يؤسف أن المجتمعات تشتد فيها الحاجات وتكثر الضرورات التي تمس حياة الناس بينما تضعف روح البذل والعطاء وتقل المروءات، وما أحوج مجتمعاتنا وهي تتحسس طريق النهوض أن يعي الفرد فيها _ رجلاً كان أم امرأة _ مسؤوليته الشرعية إزاء حاجات المجتمع فضلاً عن ضروراته. وإنه لم تسد تلك الحاجات وتحقق تلك الضرورات فكلنا رجالا ونساء شركاء في جريمة التخلف قاعدون عن الجهاد في سبيل إحياء مجتمع المسلمين وتقدمهم، ومحاسبون بين يدي الله يوم القيامة)(٣).

---

(١) صحيح مسلم، باب فضل إيمان الغازي في سبيل الله، حديث رقم (٥٠٠٧)،٦/ ٤١.

(٢) سنن النسائي ، سنن النسائي بشرح السيوطىٰ الحافظ جلال الدين السيوطىٰ ، دار الحديث، القاهرة، باب صدقة جهد المقل، حديث رقم (٨٠٣١)،٢/ ٣٢. ١٤٠٧ه ١٩٨٧م

(٣) تحرير المرأة في عصر الرسالة، دراسة جامعة لنصوص القرآن الكريم وصحيحي البخاري ومسلم، عبد الحليم أبو شقة، ٢/ ٣٩٨، دار القلم للطباعة والنشر، الكويت، ط١، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

المبحث الثالث

أهداف العمل الخيري وتطبيقاته بصفته مقصداً عامًّا للشريعة

- المطلب الأول: أهداف العمل الخيري
- المطلب الثاني: تطبيقات العمل الخيري:
- المطلب الثالث: العمل الخيري بصفته مقصداً عامًّا للشريعة:

المطلب الأول

أهداف العمل الخيري

يمثل العمل الخيري قيمة إنسانية كبرىٰ تتمثل في العطاء بكل أنواعه، كما تأتي أهميته من ارتباطه بالعبادة ورضا الله (سبحانه وتعالىٰ) كما ذكرنا في الأدلة القرآنية وكذلك الأحاديث النبوية. فالعمل الخيري مطلب ديني ويمكن أن يقوم به الفرد وحده ويمكن أن يقوم به المؤسسات والجماعات والجمعيات وهو الأكثر نفعاً فهو حاجة اجتماعية وضرورة إنسانية ويمكن أن يكون لظروف طارئة كإنقاذ غريق أو اطفاء حريق (سنتعرض لها في دور العمل الخيري في الإصلاح الأسري والمجتمعي).

وبما أن العمل الخيري عملٌ خالٍ من الربح والعائد فالمتطوع بهذا العمل يقدم الإيثارية علىٰ الأنانية والبذل علىٰ الكسب، وهدفه:

١-رضا الله سبحانه وتعالىٰ، ويبتغي الثواب الجزيل من الله في الدنيا والآخرة، كما جاءت في الآيات والأحاديث.

٢-مساعدة الآخرين ليضمن لهم الحياة الكريمة وفي ذلك نشر لقيمة التضامن والتعاون، وفي ذلك سعادة لا تضاهيها سعادة كونك تكون سببا في سعادة الآخرين، إن من أحب الأعمال إلىٰ الله إدخال السرور علىٰ قلب المؤمن وأن يفرج عنه غما أو يقضىٰ عنه دينا أو يطعمه من جوع. وسئل الإمام مالك (أي

الأعمال تحب فقال: إدخال السرور علىٰ المسلمين، وأنا ندرت نفسي أفرج كربات المسلمين....فقط أخلص النية ستأتيك المثوبة من عند الله.

٣-في تقديم عمل الخير للآخرين دعوة صريحة للإسلام وهو دين المحبة والإخاء وفي ذلك دعوة الآخرين للإسلام لما فيه من صفات تشجع الآخر لاعتناق الإسلام.

٤-بتقديم عمل الخير للآخرين يكون قد ساعد في معالجة كثير من المشكلات للأفراد والجماعات.

المطلب الثاني

تطبيقات العمل الخيري

التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية حافلة بأعمال الخير التي قام بها النبي ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم والتابعين الذين تأسوا بهم استجابة لنصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية التي تشير إلىٰ قيمة العمل الخيري وفائدته للأفراد والجماعات، وتنوعت سبل العمل الخيري، وإن من أعظم تطبيقات العمل الخيري والذي يعد تكافل اجتماعيًّا، المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ آخىٰ بين أبي عبيدة بن الجراح وبين أبي طلحة)[1]، وحتىٰ كتاب الوحي الذين كانوا يمارسون الكتابة في توثيق آيات القرآن الكريم الذي يمثل أهم ركن في عقيدة المسلمين فهو منهاج حياتهم ودستور دولتهم، وكذلك بناء المسجد النبوي الشريف وحفر الخندق وغيرها من الأعمال التطوعية التي كان يتسابق لها المسلمون. وخير نموذج لذلك دعوته عليه السلام لشراء بئر ماء احتاج له المسلمون منعه عنهم صاحبها، حيث أوضح له الأجر الوفير في الآخرة لمن يرغب، والتي اشتراها سيدنا عثمان بن عفان وجعلها وقفا للمسلمين، وذلك لتشجيعهم علىٰ أعمال الخير والمبادرة لها

(١) صحيح مسلم، الإمام مسلم، باب مواخاة النبي ﷺ بين اصحابه رضي الله عنهم، حديث رقم ٦٤٦٢، ص ١١٠٩

وعدم التقليل من شأن العمل التطوعي لأنه يدر أجراً وخيراً في الآخرة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل سُلامي* من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس قال: تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل علىٰ دابته فتحمله عليها، أو ترفع عليها متاعه صدقة، قال: والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تخطوها إلىٰ الصلاة، وتميط الأذىٰ عن الطريق صدقة»[1]، فالحديث لم يحصر أنواع الصدقات وأعمال الخير بل هي نماذج يمكن القياس عليها، فإعانة من يحمل أحمالاً ثقيلة وهو في أي من المطارات، أو أي مكان وهو كبير ويحمل أشياء فيها مشقة يمكن مساعدته مثلاً حتىٰ لا نتقيد بألفاظ الحديث، فيجب الاجتهاد في النصوص. وكذلك العدل بين اثنين سواء أكانوا أفراداً أم أسراً أو قبائل أو دول وفي ذلك إصلاح ومؤاخاة فيها الأجر. عن أبىٰ هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لقد رأيت رجلاً يتغلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين»[2].

---

* والسُلامي: بضم المهملة تخفيف اللام علىٰ العقد أي مفصل، أصله نظام الاصابع وسائر الكف ثم استعمل في جميع عظام اليدين، والمعنىٰ: أي علىٰ كل مسلم مكلف بعدد كل مفصل صدقة لله تعالىٰ علىٰ سبيل الشكر له بأن جعل عظامه مفاصل يتمكن بها من القبض والبسط، وخصت بالذكر لما في التصرف بها من دقائق الصنائع التي اختص الآدمي بها، عليه صدقة) ، فتح الباري شرح صحيح البخاري،ابن حجر العسقلاني، كتاب الجهاد ،باب أخد الزكاة ونحوه ،٦/ ٤٧٢.

(١) صحيح مسلم، الامام مسلم، كتاب الزكاة، باب أن اسم الصدقة يقع علىٰ كل نوع من المعروف ،حديث رقم ٢٣٣٥ ص ٤٠٧.

(٢) صحيح مسلم ، مسلم، كتاب البر والصلة والأدب،باب فضل إزالة الأذىٰ عن الطريق ،حديث رقم ٦٦٧،ص ١١٤٣

ونلاحظ من الأحاديث والآيات أن عمل الخير والعمل التطوعي يمكن أن يكون باللسان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسعي للإصلاح بين الناس، أو يكون بدنيا كما في الحديث (قطع شجرة) وقياسًا عليها إماطة الأذىٰ عن الطريق وما نشاهده اليوم أن كثيرًا لا يقوم إلاّ ما يهمه لنفسه فقط مثلا تنظيف منزله ورمي بقايا النفايات والأوساخ خارج المنزل؛ لأنه عام فيؤذي المارة بالطريق ويسد مجاري المياه (في فصل الخريف) إلىٰ غيرها من النماذج، فعمل الخير والعمل التطوعي يجب أن يعتني به كل إنسان ذكراً كان أو أنثىٰ، عن زينب امرأة عبدالله بن مسعود قالت: (كنت في المسجد فرأيت النبي ﷺ فقال: «تصدقن ولو من حليكن» وكانت زينب تنفق علىٰ عبدالله وأيتام في حجرها فقالت: فانطلقت إلىٰ النبي ﷺ فوجدت امرأة من الأنصار علىٰ الباب حاجتها مثل حاجتي، فمر علينا بلال فقلنا سل النبي ﷺ أيجزئ عني أن أنفق علىٰ زوجي وأيتام في حجري؟ فدخل فسأله فقال: «نعم ولها أجران، أجر القرابة وأجر الصدقة»[1]، وكل أحد علىٰ ما يستطيع وحسب مقدرته الجسدية والمادية ولا يحقر من المعروف شيئًا مهما صغر لأنه يسد ثغرة بالنسبة للأفراد والأسر والمجتمع والأمة،في حاجة ماسة لها حتىٰ تتضافر الجهود ويكون الفائدة لجميع أفراد المجتمع وتحقيق الترابط والتآلف والتآخي بين أفراد المجتمع كما أشار النبي ﷺ في حديثه أنهم كالجسد الواحد.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري:ابن حجر العسقلاني، كتاب الزكاة، باب الزكاة علىٰ الزوج والايتام في الحجر، ٤/ ٧١، طبعة مصطفىٰ الحلبي، القاهرة، وصحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب فضل المنفقة والصدقة علىٰ الاقربين ٣/ ٨٠، طبعة استانبول.

مما سبق يتضح أن مفهوم عمل الخير والعمل التطوعي مفهوم واسع لا حد له، فإذا عجز الشخص من أن يفعل أدناه فإنه يمكن لكل أحد أن يكف شره عن الناس؛ فإنها صدقة منه علىٰ نفسه وعلىٰ الناس كما أوضح النبي ﷺ في حديث أبي ذر الغفاري مع النبي ﷺ حين سأله عن عجزه وضعفه فقال له تكف شرك عن الناس، فلابد إذن من معرفة قيم عمل الخير في الإسلام وأهمية القيام به لتحقيق السكينة والطمأنينة والسعادة للمجتمع أفراداً وجماعات.

إن الدين الإسلامي لا يفصل بين الصدقة والعمل التطوعي، فتعريف العمل الخيري وتطبيقاته في التراث الإسلامي التي أشرنا إليها في المطلب الأول تشتمل علىٰ كل معاني العمل الطوعي، وهي ذات قيمة اجتماعية ودينية متجذرة ومتعمقة في المجتمع الإسلامي الذي لا يفصل بين مساعدة الآخرين بمفهوم طوعي وبين الصدقة بمفهومها الإسلامي الذي يدعو له الشرع الحنيف وتاريخ الصحابة ملئ بنماذج من أعمال الخير، فيقول الحسن البصري رحمه الله: (لأن أقضي حاجة لأخ أحب إليّ من أن أصلي ألف ركعة، ولأن أقضي حاجة لأخ أحب إليّ من أن اعتكف شهرين)، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: (لأن أعدل أهل بيت المسلمين شهراً أو جمعة أو ما شاء الله أحب إليّ من حجة، ولطبق بدرهم أهديه إلىٰ أخ لي في الله أحب إليّ من دينار أنفقه في سبيل الله)، وواضح من أعمال السلف أن قضاء حوائج الناس الضرورية كانت مقدمة علىٰ الاعتكاف في المسجد وعلىٰ الحج الذي هو من أركان الإسلام (غير حجة الفريضة) ونلاحظ اليوم أن كثيرًا يتردد علىٰ الحج والعمرة عشرات المرات كأنه للترفيه والنزهة، وهنالك في المجتمع المسلم من هو أحوج لهذا المال.

أما إذا كان دفع المال للغير بهدف الصلة لغرض دنيوي، يكون قربة كالزكاة والصدقة والكفارة لكن النية هي الفيصل في ذلك[1]. فإذا كان دفعه للمؤسسات الخيرية بهدف التقليل من الضرائب فلا يقع فعله قربة، أو للتغطية علىٰ أنشطته غير المشروعة لا يقع موقع القربة ولا يؤجر فاعله.

(١) الاشباه والنظائر: الإمام السيوطي١/ ١٢، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

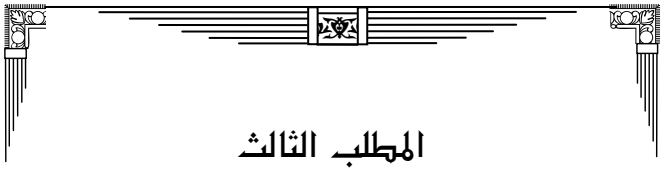

المطلب الثالث

العمل الخيري بصفته مقصداً عاماً للشريعة

كما ذكرنا آنفـًا في المبحث الأول أن هنالك مقصدًا كليًّا لجميع الأحكام الشرعية وهي جلب المصالح وتكميلها ودرء المفاسد وتقليلها، فالتكاليف كلها راجعة إلىٰ مصالح العباد في دنياهم وأخراهم، وعَرفّ الإمام الشاطبي المصلحة بأنها (ما يرجع إلىٰ قيام حياة الإنسان، وتمام عيشه ونيله ما تقتضيه أوصافه الشهوانية، والعقلية علىٰ الإطلاق)[1].

والمصلحة في اصطلاح الشرع ليست مقتصرة علىٰ المصالح المادية، ولا هي مقصورة في المصالح الدنيوية، بل تشكل كل ما يعود علىٰ الإنسان فرداً وجماعة بخير ونفع[2].

وبذا يكون القيام بعمل الخير إذا انضبط بقواعد الشرع، فيه تحقيق نفع ودفع ضرر وهذا مطلوب مقصود للشارع وجب مراعاته تحقيقـًا لمصلحة الجهات المستحقة، فالغاية ابتداءً من فعل الخير القيام بمصالح فئات معينة نص عليها الشارع الحكيم، من خلال تحقيق كفايتهم وسد خلاتهم وإغنائهم، والشاهد من

(١) الموافقات: الشاطبئ إبراهيم بن موسىٰ اللخمي المالكي،٢/ ٢٥، تحقيق عبدالله دراز، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٤م.

(٢) الفكر المقاصدي قواعده وفوائده، احمد الريسوني، منشورات جريدة الزمن، ص ٢٤، ١٩٩٩م.

الأدلة الكلية قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠]

يقول العز بن عبد السلام: (أجمع آية في القرآن للحث علىٰ المصالح كلها والزجر عن المفاسد بأسرها، فإن الألف واللام في العدل والإحسان للعموم والاستغراق، فلا يبقي من دق العدل وجُلّه شيء إلاّ اندرج في قوله إن الله يأمر بالعدل، ولا يبقىٰ من دق الإحسان وجُلّه شيء إلاّ اندرج في أمره بالإحسان، والعدل هو التسوية، والإنصاف والإحسان إما جلب مصلحة أو دفع مفسدة)[١]،

وفي هذا يقول إبراهيم بيومي: (إذا كان"تحقيق المصلحة" هو مدار نظرية المقاصد العامة للشريعة الغراء كما يذهب أغلب علماء المقاصد، فإن"الخير" وفق مفهومه القرآني هو وسيلة من وسائل المقاصد لإدراك تلك المصلحة، ولا يبلغ تحقيق المصلحة أعلىٰ مراحله الإنسانية إلا في"مجتمع الخير العام"، وليس سوىٰ السلام العام قرينة علىٰ بلوغ مجتمع الخير العام حسب فهمنا لمفهومه القرآني."والخير العام" بهذا المعنىٰ يقع في صميم الرسالة التي تحملها الأمة الإسلامية للعالم، فباعتبارها"خير أمة" يجب عليها أن تفعل الخير وتدعو إليه، حتىٰ تستريح البشرية كلها في ظلال"الخير" بمعاييره القرآنية، لا بمعاييره الوضعية البشرية، ومن هنا يتأكد لنا أن العمل الخيري مقصد عام وثابت من مقاصد الشريعة، وأن له في ذاته مقاصد أخرىٰ كلها تصب باتجاه بناء مجتمع الخير العام الذي تهنأ فيه الإنسانية بالسعادة في الدارين)[٢].

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي،٢/ ٦٢، تحقيق نزيه كمال حماد وعثمان جمعه ضميرية، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٠م

(٢) الرؤية القرآنية لمجتمع الخير العام: أنظر د. إبراهيم بيومي، مجلة التفاهم، ٢٠١٢م.

ومن المسلم به كما أشار الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي (مبنىٰ الخير هو تحقيق المصلحة الدائمة واطمئنان كل نفس في الدنيا، ومحبوب كل إنسان، وطبيعة الخير ملازمة لرعاية المصلحة الإنسانية التي أشاد بها الفقهاء في بيان ما يعرف بمقاصد الشريعة العامة وهي الأصول الخمسة الكلية)، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، أشار إلىٰ أنه: (من المعلوم يقيناً أن الشريعة وضعت من الخالق عز وجل لتحقيق مصالح الناس عاجلاً أم آجلاً، إما بجلب النفع لهم، أو لدفع الضرر والفساد عنهم كما دل عليه الاستقراء التام وتتبع موارد الأحكام، وأرشدت إليه النصوص الشرعية)[1].

وكذلك نبه العز بن عبد السلام إلىٰ أن (مصالح الدنيا محصورة فيما تدعو إليه الضرورات أو الحاجيات أو التكميلات أو التتمات)[2]

فالمصالح الشرعية هي مقاصد الشارع التي أرادها بتشريعه الأحكام فهي مقصوده ومراده[3].

وقسم العلماء المقاصد الكلية أو الضرورية وهي كما قال الشاطبي (هي ما لابد منه في قيام مصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا علىٰ استقامة، بل علىٰ فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الآخرة فوت النجاة والنعيم

(١) قيمة الخير العام والمصالح الإنسانية في القرآن وإدراكات الفقهاء: د. وهبة الزحيلي، الندوة الثالثة عشرة لتطور العلوم الفقهية، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، سلطنة عمان، ورقة عمل، ص ١ وما بعدها.

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: العز بن عبد السلام،٢/ ٦٢.

(٣) المقاصد الشرعية: نور الدين مختار الخادمي،ص ٢٣، مكتبة العبيكان،ط١٤٢١،١هـ ٢٠٠١م.

والرجوع بالخسران المبين والحفاظ عليها من جانب الوجود وجانب العدم)[1].

وقد حصر الإمام الغزالي والشاطبي الضروريات في خمس، يقول الغزالي: (ومقصود الشرع في الخلق خمسة وهي أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة)[2].

وهذه الضروريات الخمس التي سأتناولها في دور العمل الخيري بالنسبة للإصلاح الأسري والمجتمعي.

(١) الموافقات: الشاطبي٢/ ٨.

(٢) المستصفىٰ في علم الأصول، محمد بن محمد أبي حامد الغزالي،١/ ١٧٤، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ،وأنظر الموافقات، الشاطبي ١/ ٣٨.

المبحث الرابع

دور العمل الخيري في الإصلاح الأسري وتنمية المجتمع وتطوره

كما تعرضنا سابقًا لتعريف الإصلاح والعمل الخيري الذي توصلنا اليه من خلال سردنا في البحث أنه مقصد عام للشريعة، لأن تكاليف التشريع كلها ترجع إلىٰ مصالح العباد في دنياهم وأخراهم.

يقول ابن تيمية رحمه الله: (إن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وأنها ترجح خير الخيرين وشر الشرين، وتحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، وتدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما فقد أمر الله ورسوله بأفعال واجبه ومستحبة، وإن كان الواجب مستحبًا وزيادة، ونهىٰ عن أفعال مُحرمة أو مكروهه، والدين هو طاعته وطاعة رسوله وهو الدين والتقوىٰ، والبرُّ والعمل الصالح والشرعة والمنهاج وإن كان بين هذه الأسماء فروق، وكذكره ذلك حَمِدَ افعالاً هي الحسنات ووعد عليها وذم أفعالاً هي السيئات وأوعد عليها وقيد)[1].

(١) مجموعة الفتاوىٰ: ابن تيمية، تحقيق محمد عبد القادر عطا،٢٠/ ٤٨، دار الكتب العلمية،ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.

وسأتناول في هذا المطلب مجالات عمل الخير في الإصلاح الأسري، ونبدأ بإصلاح الأسرة وتزكيتها، وتنمية جوانب الخير والصلاح فيها، لأنه بصلاح الأسرة يصلح المجتمع، إذ هي من المجتمع بمنزلة القلب من الجسد، وإذا صلح القلب صلح الجسد كله، وإذا فسد القلب فسد الجسد كله، وذلك بالمحافظة علىٰ الضروريات الخمس، ومجالات عمل الخير فيها، بالنسبة للمسلم تكون بالآتي:

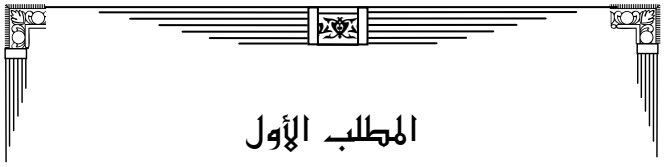

المطلب الأول

إصلاح دين الفرد والأسرة

إصلاح الدين يكون بإقامة وإرساء قواعده بدءًا من الدعوة إليه وهي تشمل المسلم وغير المسلم، وذلك بتصحيح تأسيس العقيدة السليمة وتفويتها واجتناب ما يهدمها أو يضعفها، والتأسيس بالنظر والفكر واستيعاب عناصر العقيدة من الكتاب والسنة، وكذلك باجتناب الكبائر كالشرك والنفاق والريا والبدع. وكذلك التخلق بأخلاق الإسلام الأساسية كالصدق والإخلاص والأمانة والوفاء والأعمال الصالحة، وبناء المساجد ومدها بالأئمة ومن يقوم بخدمتها كتزويدها بالوقود والإنارة وهي من الضروريات، كما يمكن إنشاء المراكز الدعوية من أموال الصدقات، وإقامة مراكز تحفيظ القرآن الكريم التي لها دور بارز في غرس فضائل ومكارم الأخلاق في نفوس النش، وكذلك تعليم النساء بالإضافة إلىٰ تعلم أحكام التلاوة والأحكام الفقهية بإقامة الدورات الشرعية التي تتناول التخصصات الشرعية التي تستهدف فئات المجتمع كافة، وأن تحرص هذه المراكز اختيار علماء الشريعة المؤهلين والذين يقومون بتبصيرهم بأمور الدين وبيان الأحكام الشرعية لما يستجد من معاملات في حياة المسلمين في أحوال معايشهم كافة، وإنشاء محطات إذاعية أو فضائية تعمل علىٰ إيصال صورة الإسلام الصحيحة للأفهام والتصدي للأفكار الهدامة، وطبع كتب ونشرات بتصحيح ما شاب إيمانه من بدع ويكون ذلك بإلقاء المحاضرات والندوات لترسيخ قيم الدين والمفاهيم الاجتماعية، والإرشاد والنصح الاجتماعي لحل المشكلات الاجتماعية، التي

للشرع فيها أحكام واضحة كمشاكل الطلاق والميراث والجرائم الحدية الكبرىٰ، والهيئات الخيرية التي تقدم الكثير من التوجيهات في هدا المجال، أما بالنسبة لغير المسلم فدعوته للدخول في الإسلام ببيان أصول الدين الإسلامي وتجلية محاسنه ومآثره وما قدمه، وما يزال يقدمه من خير للبشرية جميعها.

كل ما سبق ذكره من إصلاح لدين الفرد واستقامته والعمل علىٰ تنميته، فنلاحظ أن هنالك هيئات ومنظمات خيرية لها اهتمام كبير بالفقراء والمعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة وكبار السن، فيجب أن تكون العناية بهم وتأهيلهم علىٰ حسب قدراتهم، ويجب ألا يقتصر علىٰ توفير أموال شهرية أو سنوية بل يجب أن تُطوَّر الكفالة ليشمل الرعاية الصحية والتعليمية والتربوية وذلك بالتوعية والإرشاد والتوجيه حتىٰ يكمل دراسته وينهض بنفسه وتوفير فرص تعليم له وتنميته ليختار تخصص دراسته حسب حاجات المجتمع ومؤهلاته. وتكون الجمعيات الخيرية هذه قد ساعدت كثير جدًّا في تنمية الفرد، وبذلك تمتد تنميتها للأسرة وتحويلها إلىٰ آلة إنتاج وتدريبها علىٰ أنواع معينة (إنتاج محلي) حتىٰ تصير قادرة علىٰ العطاء وبذلك تساهم في الاقتصاد القومي للتمكين من المساهمة في اقتصاد الدولة والمجتمع، وتتابع مع الأسر وتدريبها وتوجيهها وإرشادها لتحسن التصرف بالعائد وأساليب الإنفاق السليم، ويمكن تحقيق ذلك من خلال مجموعة من البرامج والدورات التأهيلية والتدريبية والزيارات الإرشادية الدورية للباحثات الاجتماعيات، وكل ما سبق ذكره يمكن أن يقدم ما هو ضروري علىٰ الحاجي وما هو حاجي علىٰ التحسيني.

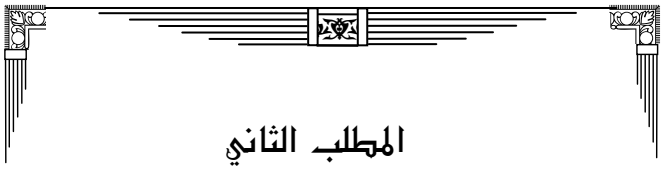

المطلب الثاني

حفظ النفس والعقل للفرد والأسرة

حفظ النفس معناه حفظها من التلف كلية، وكذلك حفظ بعض أجزاء الجسد، ويسهم العمل الخيري في توفير كفاية النفس مما يحتاجه الجسد من طعام وشراب ولباس ومسكن، وقد شجع القرآن الكريم علىٰ مساعدة شريحة الفقراء والمساكين وذوي الحاجة والمحرومين بأن جعل لهم حقًّا مفروضًا في مال الأغنياء يؤدىٰ إليهم علىٰ سبيل الوجوب والإلزام لا علىٰ سبيل التفضل والتبرع، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٦٠]، قال تعالىٰ: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء:٢٦].

والقرآن يدعو إلىٰ الإنفاق سرًّا وعلانية ويثني علىٰ صدقة السر وعلىٰ صدقة العلن تشجيعًا من النفوس علىٰ البذل والعطاء، حتىٰ لا يحرم من هو مستحق للعطاء قال تعالىٰ: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة:٢٧١].

ويدعو القرآن أن تكون نفقته خالصة لوجه الله لا منّ فيها ولا أذىٰ لأن المنّ يبطل الأجر، وكذلك ينهي عن القسوة في معاملة الفئات الضعيفة والمحتاجة في

المجتمع، ويجعل معاملتها بقسوة، وعدم الرأفة بها. وعدم مد يد العون لها من أخلاق المكذبين يوم القيامة، قال تعالىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون:١-٣]،

وكذلك يجعل عدم إطعام المسكين من أساس العذاب الأخروي قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدَّثر:٣٨-٤٨].

كل ما سبق يمكن أن تقوم به الجمعيات الطوعية وذلك بتشجيع المقتدرين لمساعدة هذه الشريحة وتوفير ما تحتاج إليه، وفي مد يد العون والمواساة لها من أفضل الأعمال الصالحة، وقربة من أعظم القربات إلىٰ الله، وواجبًا لا تبرأ ذمة المجتمع ولا ينجو من عذاب الله إلا بأدائه، وأحاديث النبي ﷺ تشير إلىٰ تفقد مثل هؤلاء قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم بالله ولا ينام من بات شبعانًا وجاره جائع وهو يعلم»، وفيه إشارة إلىٰ المتعففين الذين لا يسألون الناس، فيجب علىٰ الجمعيات هذه أن تتعدهم بالرعاية والمتابعة ووقاية من الأمراض السارية والمخاطر كالحريق والغرق والتسمم وحوادث السيارات والكهرباء وعلاج ما يصيبه من أمراض وحوادث، وهذه كلها من الوسائل التي لا يتم حفظ النفس إلاّ بها فتأخذ حكم المقصد الضروري. فدور العمل الخيري يمكن أن يتمثل في إنشاء المستشفيات الخيرية التي تتكفل نفقات العلاج للمحتاجين والفقراء والمساكين والأيتام والمحرومين أولئك الذين يشكلون الحلقة الأضعف ماديًا واجتماعيًا في جميع المجتمعات، ويمكن لهذه المستشفيات استقبال الأغنياء أيضًا وبذا يكون القطاع الخيري استثمر أمواله بعلاج هذه الشريحة، كذلك يسهم الأطباء العاملون

بالقطاع الصحي في تقديم خدمات للمحتاجين بأسعار زهيدة أو معدومة ابتغاء الآجر والثواب.

وبما أن أهم أغراض علم الطب هو حفظ صحة الإنسان إذا كانت موجودة، وردها إليه إذا كانت مفقودة، والتغلب علىٰ المرض بالعلاج السريع والعمل علىٰ إرشاد الصحيح إلىٰ ما يقوي بدنه، وتقديم المساعدة لشفاء المريض وتقديم النصح والإرشادات الطبية وتعزيز الرصيد الصحي للأصحاء بما بدع الآفات والعوارض الضارة بصحة الإنسان(١).

فقواعد طب الأبدان ثلاثة: حفظ الصحة، والحماية من المؤذي، واستفراغ المواد الفاسدة(٢)، لذا أباح سبحانه وتعالىٰ الفطر للمريض بعذر وللمسافر طلباً لحفظ صحته.

ويساهم العمل الخيري أيضاً في الطوارئ التي تصيب الأفراد والأسر كالمتضررين من الفيضانات والكوارث الأخرىٰ خاصة الذين فقدوا ديارهم ويمكن أن يتمثل عمل الخير في إقامة دور الرعاية الاجتماعية والمراكز التي يسهم فيها أهل الخير بتقديم صدقاتهم لها، التي تعنىٰ بحفظ الأطفال الذين فقدوا أهاليهم في الحروب أو الحوادث، وكذلك حال اللقطاء الذين حرموا نعمة الانتساب الشرعي لأب، بلا ذنب اقترفوه.

(١) اضواء علىٰ تاريخ الطب، سلسلة دراسات في الإسلام، يصدرها المجلس العلىٰ للشؤون الإسلامية بالقاهرة، محمود السعيد الطنطاوي، ص٨، القاهرة، ع ١٨٣، ١٣٦٩هـ ١٩٧٦م.

(٢) الطب عند العرب: حذيفة الخطيب، ط١٦، بيروت، الاهلية للنشر والتوزيع، ١٩٨٨م.

ومما يكمل هذا المقصد، حفظ النفس، توفير الحرية الشخصية والكرامة للإنسان تحقيقاً لمعنىٰ التكريم الذي اختص الله سبحانه وتعالىٰ به الانبياء تمييزاً له من الحيوان لأن الإنسان ليس جسدا ماديا بل أيضا كيانا روحيا نفسيا فحفظه لا يكون إلاّ بحفظ هذه الجوانب جميعها فتأخذ حكم المقصد الضروري[1].

أما بالنسبة لإصلاح العقل؛ فإن العقل هو مناط التكليف، ومكمن المحافظة علىٰ صفاء الفطرة ولهذا جعلت الشريعة المحافظة علىٰ مصلحة العقل من المقاصد الضرورية وشرعت الأحكام التي تبقىٰ عليه وتنميه، ونهت عن كل ما يغيبه ويرديه. ومن المعلوم أن الإسلام دين العلم والمعرفة، ذلك لأن العلم هو باب الإيمان ومدخله، لذلك ركز الإسلام علىٰ قيم التفكر والتدبر والتأمل والاستبصار وأخد العبرة فبنىٰ لذلك منهجا للاستدلال علىٰ وجود الخالق وعظمته، لأن دعوته للعلم في الحقيقة هي إحياء القلوب والعقول قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران:١٩٠]

وبين أن العلم بالخالق مدخل لخشيته وطاعته، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:٢٨]، لذلك جعل العلماء المحافظة علىٰ العقل من ضروريات الإنسان الخمس التي لا تقوم الحياة دونها، وهو طريق الحصول علىٰ الزاد وبناء الحضارة.

---

(١) الرؤية الإسلامية للتنمية في ضوء مقاصد الشريعة ،د محمد عمر شبرا ، مستشار البحوث بالمعهد الإسلامي للبحوث والتدريب ، بمجموعة البنك الإسلامي للتنمية ،جدة، ترجمة محمد أحمد مهدي ص ٨ (بدون). هامش.

ويكون حفظ عقل الفرد بالمحافظة علىٰ سلامة المخ والحواس والجهاز العصبي واجتناب ما يؤدي إلىٰ إتلافها من كل مسكر ومخدر، وعلاج ما يطرأ عليها من أمراض نفسية وعصبية، وهنالك المعارف والمهارات اللازم اكتسابها لكي يقوم العقل بوظائفه، التي لا تقتصر علىٰ ما يتعلق بالعقيدة والعبادات، بل فروض الأعيان كالتعليم الأساس. وكذلك اجتناب السلوكيات المؤدية لتعطيل وظيفة العقل أو التشويش عليها كاتباع الهوىٰ والتقليد الأعمىٰ، والجدال والمكابرة مما يتنافىٰ مع التفكير العلمي، كما يحث القرآن علىٰ إعمال العقل كملكة فطرية. وذكر عبد المجيد النجار (أن تنمية العقل تكون بتغذيته بالعلوم والمعارف وتنمية جوارح الفرد تكون بإكسابها القوة بإدراكها المحسوسات وأداء المنجدات العملية[1].

ويكون عمل الخير في إصلاح وحفظ العقل للفرد والأسرة بواسطة الوقف علىٰ المدارس والمعاهد ودور العلم ومراكز الدعوة والإرشاد وتزويدها بما يحتاج إليه من الطاقات البشرية والموارد المالية، حتىٰ تسهم في حفظ عقل الفرد من خلال العناية بتزويده بالعلوم الدينية والتربوية وكذلك بتصديها ومحاربتها للأفكار الهدامة، التي تعمل علىٰ نشر الفاحشة والرذيلة بين صفوف المسلمين وتبصير الشباب المسلم بكل ما من شأنه الأضرار بعقولهم من المسكرات والمخدرات.

(١) الاستخلاف في فقه التحضر الإسلامي ،عبد المجيد النجار ،ص٩٥ مجلة التجديد، العدد الأول ١٤١٧هـ١٩٩٧م

المطلب الثالث

حفظ النسل والمال

بقاء النسل من الضروريات الخمس التي يجب المحافظة عليها وفيه المحافظة علىٰ النوع البشري من الانقراض، وقد وضعت الشريعة عديدًا من الأحكام لتحقيق ذلك ولضبط العلاقة وتنظيمها بين الجنسين، ومن وسائل القرآن الكريم في إصلاح المجتمع أنه يعمل علىٰ تنظيم وضبط الدوافع الغريزية (الفسيولوجية) حتىٰ تؤدي دورها الصحيح في حفظ الذات وبقاء النوع الإنساني. ولابد أن نفرق بين الضبط والكبت، لأن الكبت هو إنكار الرغبة واستقذارها، ومحاولة إبعادها نهائيًّا. أما ضبطها كما ورد في القرآن الكريم وعلم النفس معناها (أن يتم تنظيم اشباعها بطريقة صحيحة، وأن توجه توجيهـًا سليمـًا يعود بالخير والنفع علىٰ الفرد والمجتمع)[1]. وهذا يتم بالزواج الذىٰ فيه مجال لتمثيل القيم الإسلامية الموجهة للسلوك العام داخل المحيط الصغير (الأسرة) أولا ومن حيث تنظيم العلاقة بين الأزواج وبين كل واحد منهم والأبناء، ثم بين كل هؤلاء وذوي الأرحام ثم تتوسع الدائرة إلي الجار الجنب، والصاحب بالجنب، فإلىٰ المحيط الاجتماعىٰ الإنسانىٰ الواسع، يقول ابن خلدون (في فطرة الإنسان منزعا اجتماعيا يدفعه إلىٰ التآلف مع الآخرين لحفظ ذاته وحفظ نوعه، إذ لا يتأتىٰ ذلك الا بالتآلف الجماعي)[2]. فالزواج الشرعي وضع له عديدًا من الأحكام التي

(١) محمد عثمان تجاني: القرآن وعلم النفس، ص ٥٥ – ٥٦، دار الشروق، مصر، ط٧، ٢٠٠١م.

(٢) مقدمة ابن خلدون، للعلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون،ص٣٩، مطبعة الشعب، بيروت، =

تنظمه منها الحض علىٰ الزواج وإباحة التعدد (بشروطه) والطلاق (بشروطه) واجتناب العلاقات خارج الزواج من زنا وشذوذ (لواط وسحاق) وسد طرق الإغراء بالعفة والحجاب ومنع الخلوة وغيرها، ورغبت في الإنجاب وحرمت وأد البنات والإجهاض، ويمكن أن يسهم العمل الخيري من خلال مؤسساته في الحث علىٰ الزواج الشرعي وتبصير الناس بأهمية التقليل من الأعباء المالية التي ترهق كاهل الشباب المسلم وتؤدي إلىٰ عزوفهم عن الزواج، كذلك التوجيه المستمر والإرشاد للشباب بالابتعاد عن كل ما يؤدي إلىٰ الزنا والممارسات غير الشرعية، ويمكن للجمعيات المختلفة كجمعيات أمهات المؤمنين وجمعيات العفاف الخيرية التي تقيم حفلات الزواج الجماعية، وتقليل المهو، ومحاربة العادات الاجتماعية التي تقف عائقا في تحقيقه والمساهمة في نفقاته المختلفة وتوفير السكن الذىٰ يشكل هاجسا كبيرا يقعد بالشباب عن الإقدام عليه ويمكن دعم ذلك من مال الزكاة والأوقاف والصدقات التطوعية والتي يساهم فيها عدد كبير من الخيرين.

أما بالنسبة للمال فإنه من المنظور الإسلامي لله وأن الإنسان مستخلف فيه، ومطلوب منه عمارة الأرض. إذن الملكية وظيفة اجتماعية (ليست حقـًا مطلقـًا)، وأن الإنسان مستخلف، أي أن العمل واجب للكسب ولعمارة الأرض، وقد شرعت الأحكام الخاصة بالعمل والعقود الناقلة للملكية والميراث وإحراز المباحات، وما يتعلق بها من ضوابط الكسب الحلال والإنفاق المشروع، وأداء حق الله واجتناب كنز الأموال وهضم حقوق الآخرين وأكل أموالهم بالباطل والإضرار بالغير والبطر والغرور والإلهاء عن ذكر الله وشكره، وقد شرع الحث

= ط١، ٢٠٠٥م.

علىٰ إنماء المال وإصلاحه وعدم إضاعته وإتلافه[1]. إن من أبرز الوسائل التي تعمل علىٰ تنمية المال وبركته الزكاة والصدقات التطوعية فإخراجها سبب للنماء في المال، قال تعالىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة:١٠٣] وفي الحديث الشريف ما روته أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ما نقص مال من صدقة»[2]. فالمال ينمو بالزكاة وإيتاء الزكاة معين منع الاكتناز، وهذا يعني إعمال الأحكام الشرعية بتوظيف المال وتشغيله، اتقاء لعذاب وإثم الاكتناز، وتحاشياً للنقص في رأس المال بسبب الإقطاع منه بالزكاة، وكل هذا يعني توظيف المال وتحريك عناصر الإنتاج، وبالتالي مضاعفة الإنتاجية والدخول، وتحقيق الرفاء الاقتصادي والاجتماعي للأفراد[3].

وقد ذكر د. أحمد عبد العزيز (أن أداء ما وجب في المال من حقوق مآله المحافظة علىٰ أصل المال، بل تنميته ومضاعفته، وإذا كان الشرع يحبذ نماء المال لما فيه نفع الناس، وإصلاح معاشهم، فإن أجل ما ينفع الناس أموال الأوقاف، التي إنما جعلت ليعم نفعها، ويعود خيرها وأجرها لموقفها في دنياه وآخرته)[4]، وكذلك يعود علىٰ الموقوف عليهم بحفظ مقاصدهم الشرعية التي أناط الشارع الحكيم حفظها بما شرع من أحكام.

(١) الاستثمار في الوقف وغلاته وريعه، د. أحمد عبد العزيز، مجلة مجمع الفقه ،ع ١٥، ص ٣٦٣.

(٢) ، ابن حجر العسقلاني فتح الباري شرح صحيح البخاري:١٣/ ١٨

(٣) الاستخدام الوظيفي للزكاة: غازي عناية، ص ٣٠، دار الجيل، ١٩٨٩م.

(٤) أنظر أحمد عبد العزيز: مجلة مجمع الفقه، مرجع سابق، ع١٥، ص ٣٦٣ – ٣٦٤.

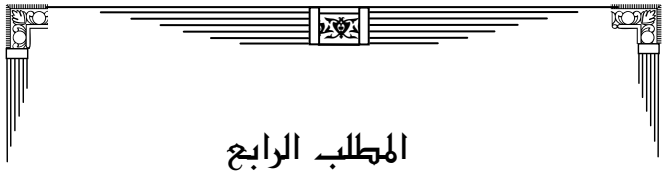

المطلب الرابع

دور عمل الخير
في إصلاح المجتمع وتطويره وتنميته

كما إن للعمل الخيري دورًا كبيرًا في الإصلاح الأسري (إصلاح الفرد والأسرة) كذلك يلعب دورًا مهمًّا وإيجابيًّا في إصلاح وتطوير وتنمية المجتمع حتىٰ يكون سلوك المجتمع حسنـًا ويساعد في تنمية جوانب البر فيه وإعلائها ومحاصرة جوانب الشر وإضعافها، وذلك من خلال المؤسسات الطوعية الخيرية التي تتيح لجميع الأفراد المساهمة في عملية البناء والإصلاح الاجتماعي والاقتصادي كما ينمي الإحساس بالمسؤولية لدىٰ المشاركين ويشعرهم بقدرتهم علىٰ العطاء، وهو يحقق الترابط والتآلف والتكاتف والتآخي بين أفراد المجتمع وصولاً إلىٰ المجتمع المتراحم كالمجتمع الأنموذج مجتمع النبي ﷺ وصحابته الكرام ومجتمعات القرون الثلاثة التي تلت عهد النبي ﷺ وتحقيقـًا لقوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢ ﴾ [المائدة:٢] وهذه الآية تحقق مبدأ من أهم مبادئ الحياة الاجتماعية وأنفعها للإنسانية، ذلك أن الحياة الاجتماعية لا تقوم إلاّ علىٰ التعاون، وتلك هي فائدة الاجتماع الإنساني أن يتعاون الناس فيما بينهم علىٰ جلب المصالح ودفع المضار والمفاسد، ولا يمكن أن ينهض مجتمع

وأن تبنىٰ حضارة إلاّ بالتعاون والتعاضد والتآزر، وقد عرف علماء الاجتماع التعاون بأنه (يقصد به المشاركة في عمل ما، أو مسؤولية ما لتحقيق هدف مشترك)[1].

ويرىٰ الباحث أن أهم عامل لنجاح العمل الجماعي أو المجتمعي، إصلاح ما بين الأفراد والجماعات من نزاعات والخصومات خاصة بين القبائل، لأنه لا يمكن تقديم عمل مثمر ومفيد وقلوب الأفراد مشحونة بالحقد، لذا وجه القرآن منذ عهد الصحابة في إصلاح ذات البين، كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:١] وقد جاء في سبب نزول الآية كما في تفسير الإمام الطبري (هو ما وقع بين الصحابة من اختلاف في غنائم معركة بدر)[2]، وبالرغم من أن مجتمع الصحابة هو خير مجتمع عرفته الإنسانية، لذا لابد من إصلاح ذات البين، وقد أثنىٰ الله علىٰ الذين يصلحون بين الناس، ووعدهم بجزيل الأجر، وعظيم الثواب، إذا خلصت لله نياتهم قال تعالىٰ: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، وقد بينت سورة الحجرات خطوات الإصلاح حتىٰ لا تتطور الخصومات والمشاكل بين الأسر والأفراد والقبائل خاصة الصراع الذي أصبح اليوم مسلحاً والعياذ بالله. وقد ذكر النبي ﷺ في حديثه «لا تحاسدوا ولا تباغضوا

(١) أسس علم الاجتماع، عبد الهادي الجوهري، ط٦١، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٩١م.

(٢) انظر جامع البيان في تفسير آىٰ القران للإمام الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ٦/ ٢٢٤، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا»[1] وكما معروف أنه بصلاح الفرد تصلح الأسرة وبصلاح الأسرة وهي النواة الأولىٰ في المجتمع يصلح المجتمع وصلاح الأمة جمعاء، ويتحقق صلاح الأمة بحفظ ثروتها وتنميتها، ويكون ذلك بحفظ أموالها من الإتلاف ومن الخروج إلىٰ أيدٍ غير الأمة دون عوض، ولتحقيق ذلك هنالك الكثير من الأحكام كتشريع الزكاة فيه حق إجباري وحق تطوعي في وجوه الخير الذىٰ يصل إلىٰ إنفاق العفو (أي الزائد عن الحاجة) الآنية في صورة الصدقات، والدائمة في الوصايا في حدود الثلث، والمؤسسية (الأوقاف الخيرية)، والنصوص صريحة، كقوله تعالىٰ: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد:٧] وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور:٣٢].

وإذا ألقينا نظرة إلىٰ الدول المتطورة وكذلك النامية نجد أن الجمعيات الطوعية لها دور كبير في الرعاية والتطور، فهي تقدم المساعدات الإنسانية في مجالات محو الأمية والتطعيم وحماية البيئة إلىٰ غيرها، وهي تهدف إلىٰ الارتقاء بالمجتمعات في جميع الميادين الاقتصادية والاجتماعية والصحية والثقافية، ومن المسلمات أن التنمية تقوم علىٰ الجهد البشري لكن لابد من وضع الخطط الواضحة والمحددة والاستفادة من الموارد البشرية، وإشراك جميع أفراد المجتمع الشباب والمرأة وجميع فئاته، وأن يكون هدف الجميع زيادة الإنتاج من خلال الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة، (والتي تشمل الأرض والقوىٰ العاملة ورأس المال والتنظيم والاستثمار، وهي أساس لإنتاج أي سلعة أو خدمة في أي

(١) صحيح مسلم، باب النهىٰ عن النهىٰ عن التحاسد والتباغض والتدابر،حديث رقم (٦٦٩٥)،٨/٨)

نظام اقتصادي، ويمكن تحقيق هذا الهدف من خلال تحديد الأولويات، مثلاً تقديم الخدمات الأكثر أهمية وحاجة المجتمع لها ماسة، فيكون دور هذه المنظمات الاستفادة من الطاقات المهدورة وغير مستخدمة في كثير من المجتمعات، ويكون لابد من ترسيخ مفهوم العمل الطوعي والحث عليه بين جميع فئات المجتمع لتشجيع كل الأفراد، ويكون من الأهمية بمكان من تخصيص إدارة عامة لتحديد المجالات التي من خلالها يمكن أن يتطوع الأفراد مثلاً إنشاء قسم العمل الطوعي في كل أو أغلب المؤسسات والمنظمات يسعىٰ إلىٰ جذب الكفاءات المتعددة لتساهم بكل طوعي والاستفادة من خبراتهم خلال أوقات فراغهم، وحسب تخصصاتهم والمجالات التي بإمكانهم المساهمة فيها مما يزيد من معدل المشاركة بين فئات المجتمع المختلفة[1]

فمثلاً عندنا في السودان نماذج شتىٰ لأعمال طوعية – حملات التطعيم التي تشمل كل أطفال الوطن، وحملات مساعدة المتضررين من جراء الفيضانات والكوارث، نجد أن عدداً مقدراً من المتطوعين يساهمون فيها وكذلك حملات النظافة العامة وإصحاح البيئة وإطفاء الحرائق، والاهتمام بالحدائق العامة، وحملات النصح والإرشاد بالنسبة للمسجونين رجالاً ونساءً، وتوفير المكتبات العامة (وشعارهم فيها تبرع بكتاب واحد ليستفيد غيرك مثلاً)، لكن ما ينقصها أنها تقتصر علىٰ فئات معينة، والإعلام عنها بطريقة غير مكثفة لتصل إلىٰ كل فرد، لذا صار دورها محصورًا وعلىٰ مدن معينة أو أحياء معينة.

وقد قام المجتمع المدني الإسلامي متمثلا في نظام الأوقاف بإقامة المرافق

(١) أنظر العمل الخيرىٰ في ضوء القواعد المقاصدية، د تمام عودة العساف وأ د محمد حسن أبو يحي،المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية المجلد الثامن العدد (٣) ١٤٣٤هـ ٢٠١٢م.

العامة، ومجال المدارس والجامعات والمستشفيات والفنادق لراحة المسافرين، وتسهيلات مياه الشرب (في سبيل الله)، وقد شملت هذه الخدمات حتىٰ غير المسلمين وتعدت إلىٰ جمعيات (الرفق بالحيوان) وإلىٰ النبات (عدم قطع الأشجار) والجماد إلىٰ آخره، فإذا قارنا هذا الهدىٰ النبوي في مقاصد الإسلام في الحفاظ علىٰ بقاء المجتمع الإنساني، بما نراه من مشاهد وأحداث تدور في واقعنا المعاصر، من تقتيل وتشريد وما تهيئه المدنية المادية من وسائل الدمار للإنسانية والقضاء علىٰ الحياة البشرية والعمرانية، يؤكد لنا أنه لا نجاة للعالم ولا نهوض للحضارة ولا عمران إلا بالرجوع إلىٰ الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقا وسلوكا.

وهنالك كثير من النصوص الجامعة التي تدل دلالة قاطعة علىٰ الأهمية التي أولاها النهج النبوي لتماسك المجتمع ووحدته، بناء علىٰ منظومة قيم جامعة ترسخ كل سلوك إيجابي خير، وتنفىٰ كل سلوك مناقض لقيم التعايش والأخوة والوفاق، وقد شبه النبي ﷺ المجتمع المؤمن كالبنيان حين قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبك بين أصابعه»[(١)]، وقال أيضا ترىٰ المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمىٰ[(٢)]

فمؤسسات العمل الخيري والطوعي يمكن أن تسهم من خلال برامجها وأنشطتها في مجالات خدمة المجتمع خاصة الخدمية، في تخفيض تكاليف إنتاج السلع والخدمات ومن جهة أخرىٰ تسهم في الاقتصاد والناتج القومي، وذلك إذا ما أُعتمد عليها في تنفيذ بعض البرامج خاصة الخدمية كالتنظيم أو الإدارة أو

(١) صحيح البخاري،البخاري،باب نصر المظلوم ،حديث رقم (٢٣١٤)،٥/ ٢٢٤٢.

(٢) البخاري، صحيح البخاري ،باب رحمة الناس والبهائم ،حديث رقم ٥٦٦٥ ،٥/ ٢٢٣٨.

القوىٰ العاملة أو حتىٰ رأس المال، فهذا حتما سيؤدي إلىٰ خفض التكاليف ويحقق انخفاض في الأسعار- ويحقق ذلك تقليصاً للإنفاق الحكومي مما يساعد الحكومة علىٰ توسيع الخدمات للمجتمع.

ومن جهة أخرىٰ يمكن لهذه المؤسسات والجمعيات أن تنقل إلىٰ جهات صنع القرار في إنشاء المشاريع التنموية بصورة أكثر وضوحاً وذلك لعلاقتها الوطيدة بالفئات المستهدفة وعمق معرفتها باحتياجاتها الملحة والمشاكل والمعوقات التي يمكن أن تصادف هذه المشاريع حتىٰ تتلافىٰ الجهات المسؤولة المخاطر والاخفاق وهذا في ظني من أهم الأمور التي تقوم بها هذه الجمعيات. وهنالك توجيه نبوي عظيم الدلالة في ميدان التنمية وهو قوله ﷺ «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة إن استطاع أن يغرسها فليغرسها »[1].

ففي الحديث إشارة إلىٰ استدامة التنمية والمحافظة عليها، والاهتمام بالمرافق العامة وإصحاح البيئة، إن مقاصد في الكتاب والكون والأنفس وضعت لتحقيق مصالح العباد في الدارين.

(١) مسند الامام أحمد، الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، وبهامشة منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال حديث رقم (١٣٠٠٤)، ٣/ ١٩١.، دار الفكر، (بدون)

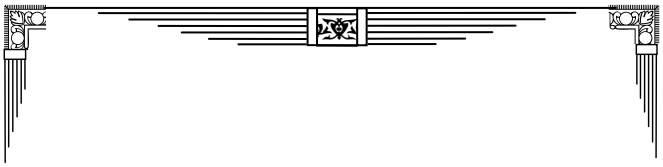

الخاتمة

وتشتمل علىٰ النتائج والتوصيات: توصل الباحث للنتائج الآتية:

١-لفظة الخير وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية بدلالات مختلفة وسياقات عديدة، وكلها تحض علىٰ عمل الخير ومدح فاعله وتحذر من تجاهله وعدم الاهتمام به.

٢-كثير من الآيات تربط عمل الخير بالعبادة وبالآخرة، ودعوة الإسلام صريحة في الدعوة لمساعدة أفراد المجتمع ولمعالجة كثير من مشكلاتهم.

٣-عمل الخير هو عمل خالٍ من الربح فالمطوع يبذل جهده، وهدفه هو رضا الله (سبحانه وتعالىٰ)، وينمي الاحساس بالمسؤولية لدىٰ المشاركين ومقدراتهم علىٰ العطاء.

٤-طبيعة عمل الخير ملازمة للمصلحة والإنسانية ومقاصد الشريعة العامة التي وضعها الخالق لتحقيق مصالح الناس في الدنيا والآخرة.

٥-لعمل الخير دور كبير في إصلاح الفرد وذلك من خلال المحافظة علىٰ ضرورياته الخمس: الدين والنفس والعقل والنسل والمال).

٦-كما يلعب عمل الخير دورًا كبيراً في تطور وتنمية المجتمع وذلك عبر المؤسسات الطوعية والجمعيات الخيرية والمنظمات التي تساهم بقدر كبير في تقويم الخدمات للمجتمعات في جميع الميادين الاقتصادية والاجتماعية

والصحية والثقافية، وبذلك يتحقق الترابط والتآلف بين أفراد المجتمع وصولاً إلىٰ مجتمع التراحم.

۞ أخيرًا يوصي الباحث بالآتي:

١-يجب أن يسارع كل فرد في المجتمع في إثراء العمل الخيري وإخراج ما عليه من زكاة إلزامية أو صدقات تطوعية عن طيب نفس لنيل رضا الله سبحانه وتعالىٰ وأجره.

٢-يجب علىٰ القائمين علىٰ مؤسسات عمل الخير توخي الصدق وعدالة التوزيع بين أفراد المجتمع وذوي الاحتياجات الخاصة والفقراء والمحتاجين، وإذا استثمرت الأموال الخيرية يجب أن تكون في وجوه مشروعة.

٣-من يتطوع للثناء أو الشهرة لا يوصف عمله بالخيرية بل هي منفعة دنيوية، لذا يجب علىٰ كل فرد أن ينزه ما يقدمه من الرياء والسمعة والشهرة.

٤-يجب علىٰ المنظمات الخيرية والطوعية أن تضع نصب أعينها تحقيق مقاصد الشريعة التي تسعىٰ لحفظ ضروريات الفرد والأسرة.

٥-كما يجب علىٰ أجهزة الإعلام والاعلان ووسائل التواصل الاجتماعي أن تمنح الجمعيات الخيرية والتطوعية مساحة مجانية لإبراز عملها ويمكن للمجتمع المساهمة وشحذ الهمم ونشر ثقافة الوقف والإيثار.

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الاستثمار في الوقف وغلاته وريعه، د. أحمد عبد العزيز، مجلة مجمع الفقه.

٣- الاستخدام الوظيفي للزكاة: غازي عناية، دار الجيل، ١٩٨٩م.

٤- الاستخلاف في فقه التحضر الإسلامي، عبد المجيد النجار، مجلة التجديد، العدد الأول ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٥- أسس علم الاجتماع، عبد الهادي الجوهري، ط٦١، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٩١م.

٦- الاشباه والنظائر: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ، بدون طبعه.

٧- أضواء علىٰ تأريخ الطب، سلسلة دراسات في الإسلام، يصدرها المجلس العلىٰ للشؤون الإسلامية بالقاهرة، محمود السعيد الطنطاوي، القاهرة، ع ١٨٣، ١٣٦٩هـ ١٩٧٦م

٨- تحرير المرأة في عصر الرسالة، عبد الحليم أبو شقة، دار القلم للطباعة والنشر، الكويت، ط١٠١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

٩- الرؤية الإسلامية للتنمية في ضوء مقاصد الشريعة، د. محمد عمر شابرا، مستشار البحث بالمعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، بمجموعة البنك الإسلامي

للتنمية، جدة، ترجمة محمود أحمد مهدي، (بدون).

١٠- الرؤية القرآنية لمجتمع الخير العام: د. إبراهيم بيومي، مجلة التفاهم، ٢٠١٢م.

١١- العمل الخيري في ضوء القواعد المقاصدية، د. تمام عودة العساف، وأ.د محمد حسن أبويحي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الثامن، العدد(٣) ١٤٣٤هـ، ٢٠١٢م.

١٢- سلسلة المنهاج، الشيخ هاشم محمد، مكتبة دار البيان، الكويت، ط٢، ١٩٨٩م.

١٣- صحيح مسلم، الإمام مسلم أبي الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار السلام للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

١٤- الطب عند العرب: حذيفة الخطيب، ط١٦، بيروت، الاهلية للنشر والتوزيع، ١٩٨٨م.

١٥- عبد الرحمن الكيلاني: قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي، ط١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار الفكر، دمشق ط١، ٢٠٠٠م.

١٦- علال الفاسي: مقاصد الشريعة ومكارمها، نشر مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء.(بدون)

١٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري: طبعة مصطفىٰ الحلبي، القاهرة، طبعة استانبول.

١٨- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني،طبعة مصطفىٰ الحلبىٰ، القاهرة، بدون.

١٩- الفكر المقاصدي قواعده وفوائده، أحمد الريسوني، منشورات جريدة الزمن، ١٩٩٩م.

٢٠- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الجيل، بيروت، لبنان، (بدون)

٢١- القرآن وعلم النفس، محمد عثمان تجاني، دار الشروق، مصر، ط٧، ٢٠٠١م.

٢٢- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٠م.

٢٣- قواعد الوسائل وأثرها في تنمية العمل الخيري، قطب الريسوني، بحث مقدم في مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث، دبي، ٢٠٠٨م.

٢٤- قيمة الخير العام والمصالح الإنسانية في القرآن وإدراكات الفقهاء، د. وهبة الزحيلي، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، سلطنة عمان، ورقة عمل.

٢٥- لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم الافريقي المصري، بيروت، دار صادر، ١٩٩٧م.

٢٦- مجموعة الفتاوىٰ ابن تيمية، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.

٢٧- المستصفىٰ في علم الأصول، محمد بن محمد أبي حامد الغزالي الغزالي، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١،١٤١٣هـ.

٢٨- معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، أبو الحسن أحمد، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الجيل، بدون تاريخ.

٢٩- المقاصد الشرعية: نور الدين مختار الخادمي، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢١ هـ،٢٠٠١م.

٣٠- مقاصد الشريعة، محمد الطاهر ابن عاشور، مطبعة الاستقامة، الشركة الوطنية للتوزيع، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر بدون تاريخ.

٣١- مقدمة ابن خلدون، العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.

٣٢- من وسائل القرآن في اصلاح المجتمع: أمين نعمان الصلاحي، سلسلة كتاب الأمة، سلسلة دورية تصدر عن مركز البحوث والدراسات، قطر، العدد ١٢٧، السنة ٢٨، ط١٤٢٩،١هـ٢٠٠٨م.

٣٣- الموافقات،أبو اسحاق الشاطبي، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٥م.

٣٤- الموافقات: الشاطبي إبراهيم بن موسىٰ اللخمي المالكي، تحقيق عبدالله دراز، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٤م.

٣٥- موسوعة علم الاجتماع: إحسان محمد الحسن، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

٣٦- أصول العمل الخيري في الإسلام في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية، دار الشروق، ط٢، ٢٠٠٨م.

٣٧- يوسف حامد العالم: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الامريكية، ١٩٩١م ١٤٢١هـ.